من درر شيخ الإسلام ابن تيمية
«١»

تزكيـة النفـس

تأليف
شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني
رحمه الله
(٦٦١ ـ ٧٢٨ هـ)

النص الكامل لهذه الرسالة ينشر لأول مرة

دراسة وتحقيق
د / محمد بن سعيد بن سالم القحطاني
قسم العقيدة ـ جامعة أم القرى

© دار المسلم للنشر والتوزيع ، ١٤١٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية

ابن تيمية ، أحمد عبدالحليم

تزكية النفوس/ تحقيق محمد بن سعيد القحطاني .

... ص ؛ .. سم

ردمك ٧-٣٦-٧٤٨-٩٩٦٠

١- علم النفس الإسلامي ٢- الإسلام والمجتمع

أ- العنوان ب- القحطاني، محمد بن سعيد (محقق)

ديوي ٢١٥ . ٢ ١٤/١٨٧٤

رقم الإيداع : ١٤/١٨٧٤

ردمك : ٧-٣٦-٧٤٨-٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

دار المسلم للنشر والتوزيع

الرياض ١١٤٨٤ - ص.ب ١٧٣٥٦ - هاتف : ٤٩٣١١٤٩/٤٠٥٤٠٥٩

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فإن دين الله تبارك وتعالى قد اعتنى بالنفس البشرية عناية فائقة ، ورسمت لها الشريعة الغراء طريق السعادة والنجاة ، وحذرتها من مفازة الغواية والهلاك .

وتبرز تزكية هذا الدين للنفس البشرية من أول ركن من أركانه وهي شهادة التوحيد التي تخلص النفس من الآلهة والأرباب والمعبودات الباطلة ، وتعرفها بالإله الحق والرب المطاع .

وتزكية النفس مطلب ومقصد من مقاصد الشارع ، فالدين كله يدور حول تزكية النفس لتعبد ربها بحق وصدق ، وتبتعد عن مساخطه ومناهيه

بإرادة وعزم .

وما أحوج أمتنا اليوم إلى تزكية النفوس على منهاج النبوة .

ـ الأمة التي يراد اليوم تغييبها عن دينها الحق .

ـ الأمة التي غزيت بأفكار الكفار وعقائد المشركين.

ـ الأمة التي تخلقت بأخلاق المغضوب عليهم والضالين .

ـ والأمة التي ضربت عليها الذلة والتمزق لأنها أخذت بأذناب البقر فحل فيها الوهن وكراهة الموت .

ـ الأمة التي خارت قواها عن مفهوم « الله أكبر » فأصبحت ترى أن قوى الغرب الكافر هي الأكبر .

ـ الأمة التي نست أو نُسيت مجدها وتاريخها وبطولاتها ونماذج العزة والكرامة في تاريخها المجيد .

تستبدل سيرة محمد بن عبد الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وخالد وسعد والقعقاع والمثنى وسعيد بن جبير وابن سيرين والسفيانين وأحمد والبخاري ومسلم وابن تيمية وابن القيم وابن كثير والذهبي ومحمد بن عبد الوهاب بسيرة (مايكل ونجاة وهلاك وفريد وعادل إمام ورقصة الراب) ... إلخ قائمة السفلة والتافهين ما أحوج هذه الأمة اليوم إلى إعادة النظر في تربيتها وتزكيتها وإخراج أوشاب التربية الضالة والمناهج الضالة حتى تصلح القلوب لتكون مقراً لوحي علام الغيوب .

وتاريخنا مشرق بالنـماذج الإيمانية الصادقة التي زكت نفـوسها وزكّت غيرها بما تعلمته من علم الشريعة الغراء .

ومن هؤلاء الأعلام شـيخ الإسلام ابن تيـمية رحـمه الله . وقـد يسر الله تعالى لي رحلة علمية لمكـتبة السليمانية باستانـبول للاطلاع على مخطوطاتها ونفائسـها فكان من خيرة مـا رأيته في تلك المكتبة رسـائل (مجموعـة عاشر أفندي) التي تحمل رقم ١١٥٤ حيث حوت هذه المجموعة عدة رسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وأجزل مثوبته .

ويسر الله تصـوير مجمـوعة طيبة منهـا . ولما عدت إلى أم القرى مـهبط الوحي والرسالـة قمت بمقابلة هذه الرسـائل المخطوطة على المطبـوع من كتب ذلك الإمام الـهمام . وكـانت هذه الرسالة « تزكـية النفس » من ضـمن تلك الرسـائل . وبالمقـابلة مع مطبـوعـتـهـا في الفـتـاوى جـ ١٠ / ٦٢٥ ـ ٦٤٠ وجدت أن المطبوعة مخرومة خـرماً كبيراً يخل بالمعنى حيث زادت المخطوطة على المطبوع بأكثر من ١٥٠ سطراً . أي ما يقـارب سبع صفحات من القطع الكبير ، فعـزمت على تحقيق هذه الرسالة لتخـرج كاملة لأول مرة وتسد ثغرة في مسيرتنا العلمية والدعوية اليوم .

وقد قدمت لـلرسالة بدراسة عن تزكيـة النفس آمل أن تكون إن شاء الله دراسة موفقة مسددة حول هذه المسألة العقدية التربوية الهامة وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

فقير عفو ربه ورحمته

محمد بن سعيد القحطاني

١٠ رمضان ١٤١٤ هـ

مكة المكرمة حرسها الله من

كل سوء ومكروه

شيخ الإسلام ابن تيمية

إن العَلَمَ لا يُعرَّف ، والشمس لا يبرهن على وجودها وصدق القائل :

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتـاج النهـار إلى دليـل

الإمام القـدوة : شيخ الإسلام ، مـفتى الأنام ، بطل الإصلاح أبو العـباس أحمـد بن عبـد الحليـم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨ هـ) كتبت في سيرته العطرة المجلدات ، لذا لا أظن أنني بحـاجة ـ أنا والقارىء ـ إلى إبراز ترجـمة تفصيليـة لهذا الإمام العلم ، فقد شرّق ذكـره في الآفاق وغرّب . ولكن أرى أن أُلمح إلى نقاط هامة في ترجمته ،مثل أهم كتبه ، وأبرز تلاميذه ، وأشرس خصومه . وفي هذا قدر كافٍ لمن أراد الوقوف على عظم قدر هذا الإمام .

ولقد قـام باحث فاضل هو الشـيخ محـمد بن إبراهيم الشـيبـاني بدراسة قيـمة بعنوان « أوراق مـجمـوعة من حـيـاة شيخ الإسـلام ابن تيمـية » وهو جـهد يذكـر فيشكر في حـصر مـا وصـل إليه علـمه ممن ترجم لشـيخ الإسـلام في القـديم وفي الحديث من ص ١٨٨ ـ ٢١١ .

ولقد وفق ـ جـزاه الله خيراً ـ في ذلك توفيـقاً كبيـراً . لذا أجد أن من التكرار الممـل ذكـر ذلك وسـرده . بل الإحـالة لمن سـبق أجـدر بالذكـر من التكرار الممل ومن أحيل على ملئ فليحتل .

ولد شيخ الإسلام رحمه الله سنة ٦٦١ هـ وتربى في أسـرة علمية موفقة فهو عـالم ابن عالم ابن عالم . والده الشيخ عـبد الحليم بن عبد السلام الفـقيه

الحنبلي وجـده عبـد السـلام بن عبـد الله مجـد الدين أبو البـركات صـاحب كتاب المنتقى .

تتلمذ ابن تيـمية على والـده وعلى ابن عبد الدائم المقـدسي وجمع غفـير من أهل العلم مذكـورون في كتب ترجمـته وسيرته .

أبرز مؤلفات ابن تيمية

١ ـ مجموع الفتاوى ويقع في ٣٧ مجلداً .

٢ ـ درء تعارض العقل والنقل ويقع في ١١ مجلداً .

٣ ـ منهاج السنة النبوية ويقع في تسع مجلدات .

٤ ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح .

٥ ـ الاستقامة .

٦ ـ النبوات .

٧ ـ بيان تلبيس الجهمية .

٨ ـ الفتاوى المصرية .

٩ ـ الصفدية .

١٠ ـ الرد على المنطقيين .

١١ ـ بغية المرتاد .

١٢ ـ الصارم المسلول على شاتم الرسول .

١٣ ـ اقتضاء الصراط المستقيم .

١٤ ـ شرح العمدة .

١٥ ـ الإيمان .

ورحم الله تلميذه ابن عبد الهادي حيث قال (وما أُبعد أنّ تصانيفه إلى

الأمة تبلغ خمس مئة مجلدة) [١]

أما أشهر رسائله التي سارت بها الركبان فمنها :

١ ـ التدمرية .
٢ ـ الواسطية .
٣ ـ الحموية .
٤ ـ السبعينية .
٥ ـ المراكشية .
٦ ـ التوسل والوسيلة .
٧ ـ البعلبكية .
٨ ـ الفرقان .
٩ ـ الأصبهانية .
١٠ ـ رفع الملام عن الأئمة الأعلام .
١١ ـ الحسبة .
١٢ ـ السياسة الشرعية .
١٣ ـ حديث النزول .
١٤ ـ الرسالة المدنية .
١٥ ـ الجواب الباهر .
١٦ ـ الرد على الأخنائي .

أبرز تلاميذ الشيخ

لقد خلّف الإمـام ابن تيمـية مدرسـة فكرية عقـدية بارزة آثارها إلى هذا اليوم ، وممن حمل علمه وتلقى على يديه :

١ ـ الحافظ الذهبي .
٢ ـ الحافظ ابن عبد الهادي .
٣ ـ العلامة ابن القيم .
٤ ـ الحافظ ابن كثير .
٥ ـ الحافظ البرزالي .
٦ ـ الحافظ المزي .
٧ ـ العلامة ابن مفلح .
٨ ـ العلامة ابن الوردي .

---

(١) العقود الدرية ص ٢٥ .

٩ ـ العلامة عماد الدين الواسطي

١٠ ـ شرف الدين بن المنجا .

وغيرهم من المئات الذين تربوا على علمه وفضله .

أبرز خصوم الشيخ

١ ـ الجاشنكير « بيبرس البرجي » .

٢ ـ ابن جهبل الشافعي الدمشقي .

٣ ـ صفي الدين الهندي .

٤ ـ القاضي كمال الدين بن الزملكاني .

٥ ـ تقي الدين السبكي .

٦ ـ تقي الدين الأخنائي .

٧ ـ أبو العباس السروجي .

٨ ـ صدر الدين بن المرحل .

٩ ـ الشيخ نصر المنبجي .

١٠ ـ القاضي ابن مخلوف المالكي .

١١ ـ نور الدين البكري .

١٢ ـ ابن عطاء الله السكندري .

١٣ ـ العلاء البخاري .

١٤ ـ يوسف النبهاني .

١٥ ـ زاهد الكوثري .

برز شيخ الإسلام رحمه الله في ميدان تخلى فيه كثير من أهل العلم ، ذلك هو ميدان الصدع بالحق ، ومقارعة الباطل والصبر والاحتساب على ما يلاقي في ذلك . ولم يعش رحمه الله كما عاش أصحاب العقل المعيشي ، الذين يبررون جبنهم وخورهم في عدم الصدع بالحق بأن ذلك هو الحكمة ومعاشرة الناس بالمعروف وخشية الوقوع في الفتنة !!

ولقد كان جهاده الدعوي غصة في حلوق أصحاب العلم المعيشي ، ومنهم ابن مخلوف الذي اشتهر باستعداء السلطان على شيخ الإسلام حتى قال للسلطان اقتله وإثمك في رقبتي [١]. تحمل السجن والإبعاد عن أهله ومحبيه فمن سجن قلعة دمشق سنة ٧٢٦ هـ إلى سجن حارة الديلم بمصر إلى سجن الإسكندرية.

ولهذا كان رحمه الله يقول : المحبوس من حبس قلبه عن ربه ، والمأسور من أسره هواه [٢] .

ويقول : « ما يصنع أعدائي بي ، أنا جنتي وبستاني في صدري ، أين رحت فهي معي لا تفارقني ، أنا حبسي خلوة ، وإخراجي من بلدي سياحة وقتلي شهادة » [٣] .ولقد مات رحمه الله سنة ٧٢٨ هـ وكان يوم جنازته يوماً مشهوداً ، فرحمه الله رحمة واسعة .

---

(١) راجع العقود الدرية .

(٢) ذيل طبقات الحنابلة ٢ / ٤٠٢ .

(٣) ذيل طبقات الحنابلة ٢ / ٤٠٢ .

تزكية النفس

إن الله سبحانه وتعالى قد جعل هذا الدين القويم ضياءً ونوراً لعباده لإخراجهم من الظلمات إلى النور ، ومن الجاهلية إلى الإسلام ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة .

قال تعالى ﴿ **الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ ٢٥٧ البقرة .

ولهذا تطهرت النفوس من أوضار الشرك ، ودنس الجاهلية منذ أن شُهد بأنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

« هبت عواصف الأقدار في بيداء الأكوان ، فتقلب الوجود ونجم الخير، فلما ركدت الريح إذا أبو طالب غريق في لجة الهلاك، وسلمان على ساحل السلامة ، والوليد بن المغيرة يقدم قومه في التيه ، وصهيب قد قدم بقافلة الروم ، والنجاشي في أرض الحبشة يقول : لبيك اللهم لبيك . وبلال ينادي : الصلاة خير من النوم ، وأبو جهل في رقدة المخالفة » (١) .

قال الله تعالى ﴿ **ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها** ﴾ ٧ ـ ١٠ الشمس .

ولا يحس بعظمة وروعة التزكية الإيمانية إلا من عرف الجاهلية، ولهذا

---

(١) الفوائد لابن القيم ٥٢ ـ ٥٣ تعليق صابر يوسف ط ٣ / ١٣٩٦ هـ .

كان الجيل الأول خير من قدر هذه النعمة حق قدرها ذلك أنهم أدركوا حقا البون الشاسع بين الإيمان والكفر ، وبين العبودية لله والعبودية للطواغيت ، وبين الحرية في خلوص النفوس لربها ، وشتاتها بين أرباب مزيفة .

لذلك كانت معرفتهم بهذا الدين معرفة من أدرك أنه حقيقة مركبة (من معرفة ما جاء به الرسول ﷺ علماً ، والتصديق به عقداً والإقرار به نطقاً ، والانقياد له محبة وخضوعاً ، والعمل به ظاهراً وباطناً ، وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان ، وكماله في الحب لله ، والبغض في الله ، والعطاء لله ، والمنع لله، وأن يكون الله وحده إلهه ومعبوده ، والطريق إليه : تجريد متابعة رسوله ظاهراً وباطناً، وتغميض عين القلب عن الإلتفات إلى سوى الله ورسوله) (١)

وتدسية النفس وطمرها في مهاوي الضلال مرض قديم جديد في حياة الناس ، ولهذا كان من منة رب العالمين على عباده أن أمرهم بالتذكير فقال ﴿**فذكر إنما أنت مذكر**﴾ ٢١ الغاشية .

وقال ﴿ **فذكر إن نفعت الذكرى** ﴾ ٩ سورة الأعلى .

وقال ﴿ **وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين** ﴾ ٥٥ الذاريات .

ولهذا (إذا رأيت العقل يؤثر الفاني على الباقي فاعلم أنه قد مسخ ، ومتى رأيت القلب قد ترحل عنه حب الله والاستعداد للقائه وحل فيه حب المخلوق ، والرضى بالحياة الدنيا والطمأنينة بها فاعلم أنه قد خسف به ، ومتى

---

(١) المصدر السابق ص ١٤٣ .

أقـحطت العين من البكاء من خشـية الـله تعالى فـاعلم أن قحطهـا من قسـوة القلب .

وأبعـد القلوب مـن الله القلب القـاسي ... ومن ركـب ظهـر التـفـريط والتواني نزل به في دار الحسرة والندامة .. ومن أدلج في غياهب الليـل على نجـائب الصبـر صبح مـنزل السـرور ، ومن نام على فـراش الكسل أصبح ملقى بوادي الأسف)[١] .

إن الإيمان بالله ولوازمـه وأركانه وسننه والبعـد عن نواقضـه كلها طرق تهـذب النفس البـشريـة وتنقيـهـا ، والقلب ملكهـا في ذلك فـإذا زكى ذلك القلب فالأعضاء عسكره المطيع لأمره .

يقول في هذا العـلامة ابن القـيم رحمه الله (فـالجيـوش الإسلاميـة كلها تحت لوائه ، ناظرة إليه ، إن ثبت ثبتت . وإن انهزم ولت على أدبارها)[٢] .

والآفات والموبقات المدنسة للنفس البشرية كثيرة جداً من أهمها :

الكفر والشرك ، والنفاق والشك ، والخوف من غير الله، واتباع الهوى، والكبـر والشح ، والجبن والحسد والجـزع، والغرور وحـب الرياسة ، وبحـر التـمني ، والعلـو في الأرض ، والحـمـية لـلنفس والغـضب لهـا ، والإسـراف والغيـبة والنميمـة والرشوة والذل ، والعجز والتـسويف ، والتقصـير والغلو ، والعجلة والشكوى ، والطمع والهلع .

---

(١) بدائع الفوائد ٣ / ٢٢٤ .

(٢) الروح ص ٣٠٦ .

ولذا سأتحدث عن أهم الأمور التي تحصل بها تزكية النفس إجمالاً وليس تفصيلاً وهي :

١ ـ الإيمان والتوحيد .

٢ ـ المتابعة لرسول الله ﷺ .

٣ ـ الفرائض والواجبات والسنن .

وهذا هو الطريق الشرعي لتزكية النفس ، وليس كما تزعم الصوفية المنحرفة التي تهرب بالنفس عن واقع الناس ، وتتخلى عن الواجبات والسنن ، وعن الشرائع والتكاليف ، زاعمة أن الخلوات والكهوف والمفازات ، والإغراق في أذكار بدعية : هي الطريق لتصفية النفس وتزكيتها من الرذائل!! إنها قد استغنت بمواجيدها وخزعبلاتها عن الكتاب والسنة ، فقد حل الذوق والكشف والعلم اللدني وعبارة «حدثني قلبي عن ربي » مكان الانقياد والاتباع والتنفيذ لأوامر الله والبعد عما نهى عنه رسوله ﷺ .ولنعد الآن إلى التزكية الشرعية السنية وبما تتحقق :

أولا : الإيمان والتوحيد

لا ريب أن رأس الأمر كله في تزكية النفس هو الإيمان والتوحيد لله رب العالمين ، فإفراده بالعبادة والانقياد له ، والتسليم بشرعه ، وتمام الذل له مع تمام الحب : هذا كله لب الإيمان والانقياد لرب العالمين .

ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ولن يستغنى القلب عن جميع المخلوقات إلا بأن يكون الله هو مولاه الذي لا يعبد إلا إياه ، ولا

يستعين إلا بـه ، ولا يتوكل إلا عليـه ، ولا يفـرح إلا بما يحبه ويرضـاه ، ولا يكره إلا مـا يبغـضه الرب ويكرهه ، ولا يوالي إلا من والاه الله ، ولا يـعادي إلا من عاداه الله ، ولا يحب إلا للـه ، ولا يبغض شيـئاً إلا لله ، ولا يعطي إلا لله ، ولا يمنع إلا لله ، فكلما قوي إخلاص دينه لله كملت عبوديته واستغناؤه عن المخلوقات ، وبكمال عبوديته لله يبرئه من الكبر والشرك) (١).

ولهذا يقول المصطفى ﷺ « من شهـد أن لا إله إلا الله وحـده لا شريك له وأن محمـداً عبده ورسوله ، وأن عيـسى عبد الله ورسوله، وكلمـته ألقاها إلى مريم وروح مـنه ، والجنة حق ، والنار حق ، أدخله الله الجنة على مـا كان من العمل » متفق عليه (٢) .

والعدو الأكبر للتـوحيد والإيمان هو الشرك الذي سماه الله ظـلماً عظيماً فقال ﴿ **إن الشرك لظلم عظيم** ﴾ ١٣ لقمان .

ولذا ورد في الحـديث القـدسي « يا ابـن آدم لو أتيـتني بقـراب الأرض خطايا ، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابهـا مغفرة » (٣) .

وإذا أردت الوقوف ـ أيها القاريء الكريم ـ على أثر التوحيد في النفس البشـرية فأرع سـمعك مـعي لهذه الكلـمة الطيـبة المباركـة التي دبجـها يراع العلامة الجـهبذ شمس الدين ابن القيم رحـمه الله حيث يقول : (فـعلم العبد بتفرد الرب تعالى بالضـر والنفع ، والعطاء والمنع ، والخلق والرزق ، والإحياء

---

(١) مجموع الفتاوي ١٠ / ١٩٨ .

(٢) صحيح البخاري كتاب الأنبياء باب ٤٧ ح ٣٤٣٥ وصحيح مسلم كتاب الإيمان ح ٢٨ .

(٣) الترمذي كتـاب الدعـوات ٥ / ٥٤٨ ح ٣٥٤٠ وحـسنه العـلامـة الألبـاني في صـحيح الجامع ٤٣٣٨ .

والإماتة : يثمر عبودية التوكل عليه باطناً ولوازم التوكل وثمراته ظاهراً . وعلمه بسمعه تعالى وبصره وعلمه وأنه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ، وأنه يعلم السر وأخفى ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور : يثمر له حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كل ما لا يرضى الله ، وأن يجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه فيثمر له ذلك الحياء باطناً ، ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح . ومعرفته بغناه وجوده وكرمه وبره وإحسانه ورحمته : توجب له سعة الرجاء وتثمر له كذلك من أنواع العبودية الظاهرة والباطنة بحسب معرفته وعلمه.

وكذلك معرفته بجلال الله وعظمته وعزه : تثمر له الخضوع والاستكانة والمحبة ، وتثمر له تلك الأحوال الباطنة: أنواعاً من العبودية الظاهرة هي موجباتها . وكذلك علمه بكماله وجماله وصفاته العلى : يوجب له محبة خاصة بمنزلة أنواع العبودية . فرجعت العبودية كلها إلى مقتضى الأسماء والصفات ، وارتبطت بها ارتباط الخلق بها ، فخلقه سبحانه وأمره هو موجب أسمائه وصفاته في العالم وآثارها ومقتضاها لأنه لا يتزين من عباده بطاعتهم ولا تشينه معصيتهم)[1] .

والنظر في أحوال الأخيار من سلف هذه الأمة يعطي صورة صادقة لأثر التوحيد في النفس البشرية .

هذا بلال رضي الله عنه يستعذب العذاب في سبيل ربه ، وينادي عليه

---

(١) مفتاح دار السعادة ٢ / ٩٠ وانظر الأسماء والصفات للأشقر ص ٢٢ .

الطغـاة أن اكفر ونكف عنك فكان الجـــواب : أحدٌ أحد . لأنه مزج طعم الإيمان بشدة الألم فغلبت حلاوة الإيمان ما يلاقيه من عنت .

وهل أنتِ إلا أصبع دميتِ وفي ســبيل اللــه ما لقيــتِ

وهؤلاء آل ياسر : يتـعرضـون لأشد أنواع الأذى ، فكانوا يشعرون بلذة استعلاء الإيمان فوق كفـر الجاهلية وطغيان أبي جهل وحزبه ، ويـتأملون قول الصادق الأمين لهم « ابشروا آل عمـار فإن موعدكم الجنة »[1] فتهون عليهم الدنيا وعذابها وألمهـا . وقبلهم ذلك الغلام الذي سجل أروع بطولة حين آمن بالله فقال للطاغية : لن تقتلني حتى تجمع الناس وتقول : بسم الله رب الغلام ثم ترميني ، فلمـا مات انتصرت الدعوة ، وآمن الناس بـرب الغلام ، فكان ما كان ﴿ **وما نـقمـوا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيـز الحميـد** ﴾ ٨ البـروج . وقبله يوسف بن يعقوب عليـه السلام حيث قال ﴿**ياصاحبي السجن أأرباب متفـرقـون خيـر أم الله الواحـد القـهار ، مـا تعبـدون من دونه إلاّ أسمـاء سميـتـموها أنتم وآباؤكـم ما أنزل الله بهـا من سلطان ، إن الحكم إلا لله ، أمر ألا تـعبدوا إلاّ إيـاه، ذلك الدين القيم ولكن أكـثر الناس لا يعلـمون** ﴾ ٣٩ ـ ٤٠ يوسف . وقبله إمام الحنفـاء إبراهيم عليه السلام ﴿ **وكيف أخاف ما أشـركتم ولا تخـافون أنكم أشـركتم بالله مـا لم ينزل به عليكم سلطاناً فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون** ﴾ ٨١ الأنعام .

---

(١) تخريجـه : طبقات ابن سـعد ٣ / ٢٤٩ وانظر السيـرة النبوية الصحيـحة للدكتـور أكرم العمري ١ / ١٥٦ الطبعة الأولى ١٤١١ هـ قطر .

ثانيا : المتابعة لرسول الله ﷺ

كـانت هذه الأمة قـبل بعـثة رسـول الله ﷺ تعيش في جـاهلية جـهلاء وضـلالة عـميـاء ، وأصنام وأوثان ، وأوهام وأزلام ، تعبـد من دون الواحـد الأحد .فبعث الله محمداً ﷺ نوراً يمزق ظلام الجاهليـة ، وهادياً يقودها إلى النجاة والفلاح، ومزكياً للنفوس من أدران الجاهلية ورجس شركها . قال الله تعالى في ذلك ﴿ **كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون** ﴾ ١٥١ البقرة .

وهو دعـوة جده إبراهيم عليـهمـا السلام حـيث دعا خليل الرحـمن ربه سبحانه أن يخـرج من أبناء هذه البلدة ـ مكة المكرمة ـ من يزكي أهلها بنور الإسلام ﴿**ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم**﴾ ١٢٩ البقرة .

فكانت هذه الرسالة ورسـولها منة من الله عظيمة على هذه الأمـة . كما قال ربنا تبارك وتعالى : ﴿ **لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين** ﴾ ١٦٤ آل عـمـران ﴿ **هو الذي بعث في الأمـيين رسـولا منهم يتلو عليـهم آياته ويزكـيهم ويـعلمهم الكـتاب والحكمـة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين** ﴾ ٢ الجمعة .

وقد جـعل الله هذا النبي العظيم أسوة وقـدوة لنا فقـال تعالى ﴿**لقد كان**

لكم في رسـول الله أسوة حـسنة لمن كـان يرجو الله واليـوم الآخر وذكـر الله كثيراً ﴾ ٢١ الأحزاب .

بل حجب الله قـبول شطر الشـهادة الأول إذا لم يشهـد المكّلف بشقـها الثاني « محمد رسول الله » .

وحين ادعى أناس محبة رسول الله ﷺ امتـحنهم الله بهذه الآية ﴿ **قل إن كنتم تحبـون الله فاتبـعوني يحبـبكم الله** ﴾ ٣١/ آل عـمـران . ولهـذا لن تتزكى نفس بشريـة حتى يكون الرسول ﷺ هو أسوتها وقـدوتها ، وكل من التـمس التـزكيـة في غـير منهـاج النبـوة فـهو من الخـاسـرين ، وممن زين لهم الشيطان سوء أعمالهم وصدهم عن السبيل .

وتزكية النفس بمتابعته ﷺ في أقوالـه ، وأعماله ، وأخـلاقه هي البـرهان الصادق على توحيد المتابعة له عليه السلام .

وحياته صلوات الله وسلامه عليه كلها دروس في تزكية النفوس .

في إيمانه وتوحيـده ، وفي الصبر وقـول الحق ، وفي الحلم والكرم ، وفي جـهـاده وصلاتـه ، وفي حجـه وزهده . وفي خلـقه ومـعـاشـرته ، وفي أدبه وسمته .

وفي صلة الأقارب والأرحام ، وفي الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر. وفي كل صغيرة وكبيرة هو القـدوة والأسوة ، وأكرم بنفس تزكت بمتـابعته عليه الصلاة والسلام، فهي السعيدة في هذه الحياة ، وهي الناجية يوم القيامة، وهي من سكان جنة عرضها السماوات والأرض بإذن الله تعالى .